

سيمائية الخطاب في الربيع العربي* من خلال الفيسبوك " رغبة في التغيير أم رغبة في الخلاص؟"

د. نسيمت شمام

جامعة خنشلة

عرفت بعض البلدان العربية في السنوات الأخيرة تحركات شعبية مناهضة للأنظمة الحاكمة؛ رفع المتظاهرون خلالها شعارات تكاد تكون واحدة مغربا و مشرقا. فهل يمكن أن تكون لها دلالات سيميائية مشتركة؟ وللإجابة على هذا التساؤل، نسلط الضوء على جملة من الخطابات التي رفعها المتظاهرون ونحللها سيميائيا معتمدين

الخطوات الآتية:

1. ماهية الخطاب
2. استراتيجية الخطاب
3. تحليل نماذج خطابية من الفيسبوك

يعد موضوع الخطاب من المواضيع المهمة، ذلك أن فهمه يعين في بناء التصور الأمثل لطبيعة التواصل البشري، من أجل ذلك يحاول الباحثون الإلمام بما توافر من مدونات خطابية ملفوظة أو مكتوبة أو حتى مرسومة. فما مفهوم الخطاب؟

1. ماهية الخطاب:

جاء في لسان العرب: الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وهما يتخاطبان، والخطبة مصدر الخطيب¹

وجاء في المصباح المنير: (خاطبه) مخاطبة وخطابا كلام بين متكلم و سامع، ومنه اشتقاق الخطبة -بضم الخاء وكسرها - باختلاف المعنيين²

فالخطاب في المعاجم العربية مقترن بالكلام ومشترط فيه طرفان متكلم و مستمع أما معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات فقد رأى صاحبه أن³: مصطلح الخطاب Discours يستعمل في اللسانيات بوجهين على الأقل:

① يقابل بنفينست بين اللسان بوصفه نسقا من العلامات والخطاب بوصفه انتاجا المرسلات فالخطاب إذن قريب من الكلام أو التلفظ. وهو يحيل داخل اللسان، إلى كل ما لا يمكن تحديده خارج مستوى استعمال الفاعل المتكلم لهذا

اللسان Dexis , Actes de langage, référence

② الخطاب كل وحدة تتجاوز حجم الجملة فهو يمثل مجموع الجمل المترابطة عبر مبادئ مختلفة للانسجام

③ يطلق الخطاب على كل ملفوظ يصور بوضوح محركات التلفظ (أنا. انت) فإميل بنفينست عرف الخطاب بقوله: كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول قصد التأثير في الثاني بطريقة ما⁴

ومن كل ما سلف نستشف أن الخطاب ملفوظ يستلزم بالضرورة وجود طرفين مخاطب؛ له هدف إيصال خطبة مؤثرة، ومخاطب مستمع لهذه الخطبة متأثر بها.

2. استراتيجية الخطاب:

يتكون هذا العنوان من مصطلحين رئيسيين:

- استراتيجية

- خطاب

وحتى نعي مدلوله بدقة وجب علينا التوقف عند كل مصطلح لتوضيح مجاله ومعناه . وبما أننا عرفنا مدلول الخطاب . فما مدلول الاستراتيجية ؟

يمارس الانسان العاقل كثيرا من الأفعال في حياته يبتغي من خلالها تحقيق أهداف بعينها ؛ ولا يستطيع ممارسة هذه الأفعال في حال مستقل عن سياق مجتمعه ، من اجل ذلك يتخذ طريقة معينة يتمكن بها من مراعاة الأطر التي تحف بعمله أولا وتمكنه من تحقيق هدفه ثانيا ، وهذا ما يصطلح عليه بالإستراتيجية ، فالإستراتيجية إذن طرق محددة لتناول مشكلة ما ، أو القيام بمهمة من المهمات . أو هي مجموعة من العمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة ، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكم بها .⁵

وعليه فالإستراتيجية خطة للوصول إلى الغرض المنشود وتكون ذات بُعدين :

- بُعد تخطيطي : محله الذهن إذ يقوم المفكر بوضع خطة في دماغه لما يمكن أن يقوله أو يقوم به .

- بُعد مادي : وهو الخطوة الثانية التي يتم فيها تجسيد الاستراتيجية على أرض الواقع.

ومما سبق نستشف أن استراتيجية الخطاب : هي خطة يقوم بها المخاطب مما يحيل على أن الخطابات لا تكون غفلا بل مقصودة أي أن الخطاب المنجز يكون خطابا مخططا له بصفة مستمرة وشعورية .⁶

فلا يمكن أن يصدر عن المخاطب عبارات أو اشارات غير مقصودة . فإما أن يكون واعيا بها وإما أن تصدر عنه وتعبّر بدقة عما في نفسه ...

وهذا يبرز في العلامات غير اللغوية مثل الاشارات والإيماءات والألوان ...

هذه الأشياء وغيرها من العلامات ستجلبها لنا جملة من الخطابات التي أرسلها الشارع العربي من كثير من الساحات العربية و سنستطرقها من خلال :

- التركيب اللغوي

- نوع الخط وحجمه

- الألوان الموظفة في كتابة الخط

- الفئات التي رفعت هذه الخطابات

- الارادة التي يريد المتظاهر تنفيذها

3 . تحليل نماذج خطابية من الفيسبوك

الان سنحلل طائفة من الشعارات ارتأينا اجمالها في سبع عبارات هي :

- الشعب يريد اسقاط النظام

- الشعب يريد اسقاطك أنت

- بدك تسقط

- ارحل

- ارحلوا بفسادكم

- لو يغيب حكامنا أسبوعا عن السلطة صلينا اليوم الثامن في المسجد الأقصى

- ثورتنا ليست فقط لاسقاط النظام بل أيضا لتغير جوهر العوام بأخلاق ومبادئ الاسلام

① الشعب يريد إسقاط النظام :



Image 01

عبارة: " الشعب يريد إسقاط النظام " العبارة الأشهر التي رددت . كتب بخط اليد بعيدا عن الخطوط العربية الجميلة الواضحة التي اعتدنا أن نرفع في مناسبات سعيدة وحزينة .. والخط العادي الذي خطت به هذه العبارة فيه دلالة على أن كاتبه يريد إسقاط هذا النظام بيده . وبدأ هذا التركيب بكلمة " الشعب " وأتت معرفة وفيها دلالة على الجمع . أتت أولا لأن

هذه الجموع هي من ستحقق ما سيأتي بعدها في التركيب (ارادة الاسقاط) لترد بلفظ (يريد) الذي فيه حدث وحركة معها قوة وفكر ذلك أنها (ارادة) وليست رغبة ثم إن في هذا اللفظ دلالة الاتحاد لأن كل الشعب له ارادة موحدة لذا قال " يريد " وليس يريدون . وأتى زمنه حاضرا متخصصا دلالة على أن الشعب مل التسوييف ويريد الخلاص الآن .

أما كلمة " إسقاط " فأنت مصدرا صريحا على وزن " إفعال " الدال في اللغة العربية على المطاوعة ⁷ . والفعل أسقط هو الذي أحالنا على رغبة هذه الشعوب في تنفيذ حكم أي على من يحكمه هو " أن يسقط " ليس بمفرده وإنما هو من يعمل بقوة على انهائه .

وفي هذا اللفظ أيضا حركة سريعة من الأعلى إلى الأسفل . فالشعب يريد إنزال حاكمه من البروج العالية التي استأثر بها لآماد طويلة وصل بعضها إلى أربعين سنة ⁸ . وأما كلمة " النظام " فجاءت لتدل على الجماعة التي تمسك بمقاليد الحكم . ففي هذا المطلب الشعب لا يريد أن يسقط فردا واحدا . بل يريد أن يسقط النظام كله . وهنا يمكننا أن نقدم الملاحظة الآتية : لو أن الشعب أراد أن يسقط الحاكم وحده لتفاجأ بعد فترة وجيزة بما يسميه أزام النظام (زبانية النظام) يتسلم مقاليد الحكم ويعيد سيرة سلفه . فالتغيير الحقيقي لا يكون بتنحية شخص من منصبه بل التغيير يجب أن يكون جذريا وذلك باستئصال كل ماله علاقة بالفترة الماضية ⁹ وما نود التنويه إليه حقيقة هو استخدام كلمة " إسقاط " التي لو عوضت بكلمة " تغيير " لكان أحسن ويستحسن ، فالكلمة الأولى فيها فوضى وعدم توقع لما سيحدث بعد الإسقاط ، أما الثانية ففيها مدلولات التخطيط والدراسة وتجنب السلبيات التي كانت في الوضع السابق . فيكون المطلب الرئيس والعبارة الأصح : الشعب يريد تغيير النظام وتكتب كلمة تغيير باللون الأخضر الدال على السلام .

واستخدام الشارع العربي لكلمة " اسقاط " فيه دلالة واضحة على رغبته في الخلاص من هذا الواقع الذي يعيشه دون النظر إلى قابل الأيام (من سيحكم وكيف ؟) كل همه أن يعيد هذا الكابوس الذي كتم على انفاسه رذحا من الزمن .

وعودةً إلى العبارة التي نحن بصدد تحليلها ؛ فقد وجدنا أن الجملة اسمية لم يرد فيها إلا فعل واحد هو " يريد " الذي توسط اسمين الشعب ، إسقاط وهذا يحيل على أن هذه الارادة مبدؤها الشعب ومنتهاها وغايتها الإسقاط وقد كتب الجزء الأول منها - الشعب يريد - باللون الأسود العريض الذي يدل على القوة والسؤدد ، فاللون الأسود

يعطي شعورًا بالاستقلالية والتوحد. كما يعبر بقوة عن الموت ، الجدّة ، أهميّة الموقف .
 . إلا أنه يعدّ أسهل الألوان للقراءة.



أما الجزء الثاني - إسقاط النظام - فكتب باللون الأحمر العريض الذي يدل على قوة التغيير حتى لو كان ذلك يعني خسارة كبيرة في الدماء . وغالبا ما رمز اللون الأحمر إلى الثورات والحروب لكثرة ما تسيل فيها من دماء. فاللون الأحمر أقوى الألوان وأكثرها لفتًا للنظر و جذابًا للاهتمام لذا فهو يستخدم للتنبه ولفت الانتباه و ترسيخ قوّة التأثير والتحرُّر والسَّطوة والتحذير (يرمز إلى الخطر الكامن و يشير إلى الجوانب

المتوتّرة والقلقة) و يعبر عن الغضب ، النّجاح ، الفرح و يخبرنا كي نتوقف . Stop .¹⁰
2 الشعب يريد إسقاطك أنت !

العبارة الثانية : الشعب يريد إسقاطك أنت ! عبارة مخصصة مقارنة بالعبارة الأولى ذلك أن المراد إسقاطه ؛ هو شخص واحد موجه له الخطاب . وقد ورد في التركيب مرتان للتأكيد ولفت الانتباه الأول في كاف الخطاب المتصل بالمصدر إسقاط (إسقاطك) والثانية في ضمير المخاطب المفرد " أنت " وختمت العبارة بأداة تعجب دالة على أن المخاطب وكأنه لم يع بعد أن الخطاب موجه له .

3 بدك تسقط



في هذا التركيب القصير البسيط كلمتان " بدك " و " تسقط " وكان أمر سقوط النظام سيكون بالبساطة حينها ، وقد كتب في أعلى هذا الخطاب باللون الأسود " وراك وراك والزمن طويل " أي أن الشعب لن يتوانى حتى تحقيق هذا الحلم الذي سيصير واقعا يوما ما ...

فالعبارة الأولى " بدك تسقط " كتبت بخط كبير واضح وباللون الأحمر العريض لأنها هي الغاية والمنتهى والنتيجة الحتمية لما

كُتبت فوقها " وراك وراك والزمن طويل " فهذا التركيب يستخدمه المشاركة (بدك تسقط) لواحد من اثنين إما تعجبا (بدك تسقط !) وإما طلب القيام بأمر على وجه الالزام ودون اعطاء المأمور فرصة النقاش أو المحاورة . و اراد المخاطب في هذا الخطاب أن يوصل للمخاطب بأنه زائل عن الحكم لا محالة . ثم إنه لن يدع فرصة للزمن حتى يقضي فيه أمره بل يريد أن يكون هو المنفذ لهذا الحكم لذا قال (وراك) وأكدها بإعادة اللفظ مرة ثانية ، فمن كان وارك أمر وأراد تحقيقه فأنه بالغه ولو بعد حين .

4 ارحل



النموذج الرابع أقصر من الثالث فقد حوى كلمة واحدة فقط هي : ارحل وجاءت بصيغة الأمر وهي المطلب الرئيس في كل الخطابات وخلاصة ما يريده الشعب ، فقد اختار المتظاهر كلمة الرحيل لان فيه دلالة الذهاب إلى نقطة معينة دون رجعة إليها ثم إن المتمعن في كيفية كتابة الكلمة يلفت نظره أمران مهمان جدا ، الأول المساحة الطويلة بين حرفي الحاء واللام ولهذا الاطالة معنى واضح

هو مد الصوت الدال على بعد المخاطب عن المخاطب و تدل أيضا على طول نفس وصبر هذا الشعب على حكمه وبأنه مل تردد هذا اللفظ الذي لم ينفذ . أما الأمر الثاني فهو اللون الذي كتب به اللفظ فعادة يكتب هذا المطلب باللون الأسود ، بينما في هذا الخطاب كتب باللون الأحمر الذي عكس الإثارة أو الدفع نحو تغيير اجتماعي سياسي جذري مصحوبا بالقوة¹¹ مما يعني أن الشعب يريد رحيل حاكمه بالقوة ثم إن السكون التي تنطق في نهاية الكلمة وفوق اللام تحديدا تحيل على أن هذا هو المطلوب فقط فكأننا بهم يقولون لا نريد منك أيها الحاكم شيئا فقط ارحل. ولعل هذا ما تدعمه العبارة الآتية : ولّي وريّحي ،



التي كتبت باللون الأزرق الدال على السلام ، فالمطلب واحد ارحلوا بفسادكم



في هذه العبارة الجديدة شيء جديد هو ربط رحيل الأشخاص برحيل الفساد الذي أحدثوه في الأرض ، فبعد ان كان الرحيل في العبارة السابقة مختصا بشخص بعينه ، أصبح الآن مرتبطا بجماعة اشتركت في الافساد فاستحقت الاشتراك في الرحيل دون رجعة ، وهنا ربط آخر بالمطلب الأساس الذي إسقاط النظام كاملا .

6 لو يغيب حكامنا أسبوعاً عن السلطة.. لصلينا اليوم الثامن في المسجد الأقصى

بدأت الجماهير هذا الخطاب بتمن ؛ فيه دلالة على استحالة فلو في النحو العربي حرف شرط أو حرف امتناع امتناع ، امتناع الشرط لامتناع جوابه ، فيمتنع غياب الحكام العرب عن السلطة أسبوعا لذلك تتمتع الصلاة في المسجد الأقصى في اليوم الثامن .



وربطاً بالخطاب السابق فإن هذا ضرب من الفساد الذي يريد الشعب رحيله ، الاستئثار بالسلطة واهدار كرامة الانسان العربي ومنعه من استرجاع أراضيه المحتلة . فكأن بقاء الحكام وسياساتهم هي الحائل في بلوغ الشعوب مطامحها ، فحلّم استعادة فلسطين والصلاة بالمسجد الأقصى من أغلى الأماني التي يرحوها أي عربي أو مسلم .

والجميل في هذا التركيب استخدام كلمة " يغيب "، وليس يرحل أو يغادر ، فالغيبه عادة ما تكون قصيرة وفي هذا ضرب من التهكم من واقع الحال يدل على أن هؤلاء الحكام لا يرحون كراسيهم أبدا .

7 ثورتنا ليست فقط لإسقاط النظام..بل أيضا لتغير جوهر العوام بأخلاق ومبادئ الاسلام



في هذه العبارة خطاب مختلف عن الخطابات السابقة فيه توجه جديد يجلي الغرض الأساس من الثورة ، الذي هو التغيير الإيجابي المصاحب لإسقاط النظام إذ مع الاسقاط هناك بناء لشخصية العوام وتحليتها بأخلاق ومبادئ الاسلام... والملاحظ في هذا الخطاب التمييز توظيفه اللون الأزرق في كتبه عبارتي : لإسقاط النظام..بل أيضا و بأخلاق ومبادئ الاسلام ؛ فالأزرق لون العقل يوقظ الحسّ بالمسؤولية ويعطي شعوراً بالواقعية ، المصدقية ، النضج ، المقدره ،

السّلام ، الهدوء إذن فالشعب انتقل إلى مرحلة الوعي وتحديد أهداف أخرى موازّة مع إسقاط النظام .

ومن كل التحليلات السابقة نصل إلى الاجابة على التساؤل الذي طرحناه أوّلُهُ ، وهو خطابات الشارع العربي رغبة في التغيير أم رغبة في الخلاص ؟ فالشق الأول رغبة ايجابية ترمي إلى تغيير واقع مر بواقع مناسب لتطلعات وآمال هذه الشعوب ، وأما الشق الثاني فرغبة سلبية على الرغم من أن فيها تخلصاً من واقع غير مُرضٍ لكن تحقيق هذا الحلم يودي بالناس إلى الجهول .

فكل العبارات التي استنتقناها صبت في الرغبة الثانية ، ومرد ذلك نفاذ صبر الناس على حكاهم المفسدين ومطالبتهم برحيلهم دون رجعة غاضبين الطرف عن مرحلة ما بعد سقوط النظام ، فالمهم أن يترك هذا المفسد السلطة و أيّاً يكن من يأت فإنه يمثل مرحلة جديدة فكرا و توجّهاً .



من أجل ذلك قال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: الشعوب العربية - على الغالب - تجتاحها العاطفة أكثر من العقل والعاطفة إن لم يصدقها العقل تتحول إلى عاصفة .

الهوامش والإحالات:

* . الربيع العربي : تركيب أطلق على الثورات الشعبية العربية ، ذلك أن الثورات الأولى

في تونس ومصر سميتا بأسماء الزهور (الياسمين في تونس) و (اللوتس في مصر)

1. جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ، مادة (خ ط ب)

2. أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المصباح المنير ، تح يحي مراد ، مؤسسة المختار ، مصر ، ط1 (2008) ، ص

106

3. ينظرماري نوال غاري بريور ، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ، ترجمة عبد القادر فهمي الشيباني ، سيدي بلعباس ،

ط1 (2007) ، ص 49-50

4. Emile Benveniste , Problèmes de linguistique générale, T1,Edi Gallimard , Paris, 1966 , P240

5. ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، ط1 (2004) ص

53.52 6. المرجع نفسه ، ص56

7. أبو أوس ابراهيم الشمسان، أبنية الأفعال علاقتها ودلالاتها، ص 37
8. حكم زين العابدين بن علي تونس 23 سنة وحكم حسني مبارك مصر 30 سنة و حكم معمر القذافي ليبيا 42 سنة حكم علي عبد الله صالح اليمن 33 سنة .
- 9 . هنا إشارة إلى ما حدث ويحدث في اليمن ، فبعد أن تخلص الشعب من الرئيس علي عبد الله صالح ، أتى من يخلفه وكان من شيعته ، وفضل الرئيس السابق ممسكا بمقاليد الحكم ، ولم يتغير شيء بتنحية شخص علي عبد الله صالح ، وبقية دار لقمان على حالها ، وكأنك يا أبا زيد لم تغرُ.
10. ينظر موقع الانترنت الاتي
11. مليح مراد ، الألوان والانسان ، مجلة حراء ، العدد 2 يناير - مارس ، استنبول ، تركيا 2006

ملاحظات

Image 01 مصر

Image 02 تونس

Image 03 اليمن

Image 04 مصر

Image 05 سورية

Image 06 سورية

Image 07 سورية